الفصل الثاني

دراسة صوتية

للدعاء المتعلق بالأنبياء عليهم السلام

◄ **المبحث الأول:**

دراسة صوتية للتعبير القرآني المتضمن دعاء الله تعالى للأنبياء عليهم السلام بصيغة (سلام)

◄ **المبحث الثاني:**

دراسة صوتية لدعاء الأنبياء عليهم السلام لأنفسهم ولغيرهم بصيغة (غفر) ومشتقاتها

obeikandi.com

obeikandl.com

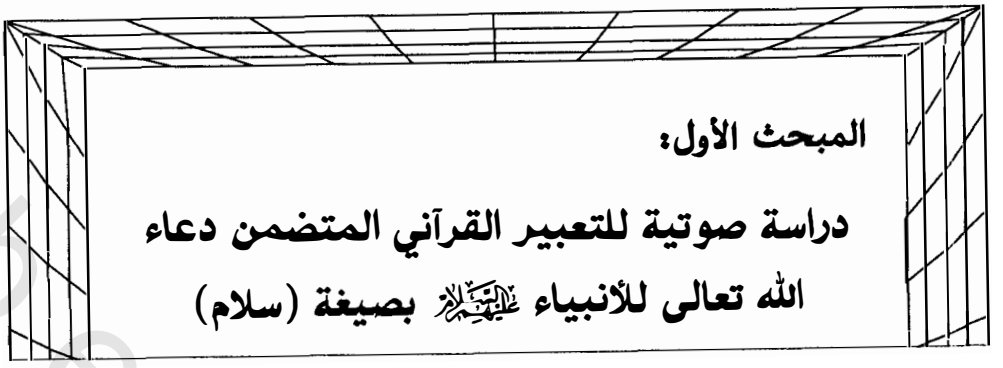

المبحث الأول:

دراسة صوتية للتعبير القرآني المتضمن دعاء الله تعالى للأنبياء عليهم السلام بصيغة (سلام)

جاء دعاء الله سبحانه وتعالى للمرسلين بصيغة (سلام) في ستة مواطن من القرآن الكريم، وخُصَّ خمسة من الأنبياء بذكر أسمائهم بعد عبارة (السلام) في هذه الأدعية هم (نوح وإبراهيم وموسى وهارون وإلياس) عليهم السلام.

ونورد هنا الآيات التي تضمنت الدعاء بهذه الصيغة:

قال تعالى:

1 - ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ﴾[1].

2 - ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ﴾[2].

3 - ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾[3].

4 - ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾[4].

5 - ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾[5].

6 - ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[6].

---

(1) سورة مريم، الآية: 15.
(2) سورة الصافات، الآية: 79.
(3) سورة الصافات، الآية: 109.
(4) سورة الصافات، الآية: 120.
(5) سورة الصافات، الآية: 130.
(6) سورة الصافات، الآية: 181.

والسلام في اللغة: (يكون بمعنى السلامة، يقول الناس: السلام عليكم، أي السلامة من الله عليكم)[1].

والسلام: دعاء بالسلامة من الشر بكل أنواعه، قال ابن منظور (ت711هـ): (ومعنى السلام الذي هو مصدر سلمت أنه دعاءٌ للإنسان بأن يسلم من الآفات في دينه ونفسه، والسلام في الأصل: السلامة، يقال: سَلِمَ، يَسْلَمُ، سَلاماً وسَلامَةً. ومنه قيل للجنة: (دار السَلام) لأنها دار السلامة مِن الآفات)[2].

والسلامة: (البراءة من العيوب)[3]. وسلم: (سلم من البلاء سلامة وسلاماً، وسَلِمَ مِن المرضِ: برئَ، وسلَّمهُ الله)[4].

وتدور أغلب أقوال المفسرين حول هذه المعاني، فقال ابن كثير (ت774هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾[5]، أي (له الأمان في هذه الثلاثة الأحوال)[6]. والملاحظ أن أغلب هذا النوع من الدعاء قد ورد في سورة الصافات، فقد ورد خمس مرات[7]. وكانت هذه الآيات دعاءً لـ(إبراهيم ونوح وموسى وهارون وإلياس والمرسلين من دون استثناء) عليهم السلام أجمعين.

ففي الآية (79) من سورة الصافات كان الدعاء لسيدنا نوح عليه السلام، حيث قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[8]، أي: (أَمَنَةٌ مِنَ اللهِ لنوح في العالمين أن يذكره أحدٌ بسوء)[9].

---

(1) العين: مادة (سلم).
(2) لسان العرب: مادة (سلم).
(3) القاموس المحيط: مادة (سلم).
(4) أساس البلاغة: مادة (سلم).
(5) سورة مريم، الآية: 15.
(6) تفسير ابن كثير: 3/ 154.
(7) الآيات: 79، 109، 120، 130، 181.
(8) سورة الصافات، الآية: 79.
(9) تفسير الطبري: 23/ 81.

وقال تعالى في السورة نفسها: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [1]، أي: (أَمَنَةٌ من الله في الأرض لإبراهيم أن لا يذكره من بعده، إلا بالجميل من الذكر)[2].

وجاء الدعاء بعد ذلك لسيدينا موسى وهارون، فقال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾[3]، أي (سلامٌ مِنّا على موسى وهارون، ومن الملائكة والإنس والجن أبد الدهر)[4].

وقال تعالى بعد ذلك: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾[5] أي (سلامٌ منا على إلياس، أو عليه وعلى قومه الذين آمنوا معه، فجمعوا تغليباً كقولهم للمهلّب وأهله: المهلّبون، وقُرِئ: آل ياسين بالمد، والمراد به أهل إلياس)[6].

ثم دعا (سبحانه وتعالى) للمرسلين كافة بقوله: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[7] أي: (وأَمَنَةٌ مِنَ اللهِ لِلمُرسَلينَ الذين أرسلهم إلى أممهم المذكورين في هذه السورة وغيرهم من فزع يوم العذاب الأكبر، وغير ذلك من مكروه أن ينالهم من قبل الله تبارك وتعالى)[8]. وقد فسر الطبري (ت310هـ) كلمة (السلام) في المواطن التي ذكرناها بالأمان من الله، وهو دعاءٌ يشمل الحفظ مِن كل مكروه.

والذي يهمنا في هذا المجال هو (البنية) الصوتية لهذه الصيغة التي تتضمن تحليل الجانب الأكوستيكي ودراسة علاقة ذلك بالدلالة التي نتغياها ونسعى إلى التوصل إليها من خلال الربط بين هذه الدراسة، ومفهوم الأمان والحفظ في صيغة (سلام).

---

(1) الصافات: 109.
(2) الطبري: 23/ 105.
(3) سورة الصافات، الآية: 120.
(4) التفسير المنير: 12/ 144.
(5) سورة الصافات، الآية: 130.
(6) التفسير المنير: 12/ 147.
(7) سورة الصافات، الآية: 181.
(8) تفسير الطبري: 23/ 137.

الدراسة الصوتية:

1 - قال تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ﴾[1].

س ـَ/ ل ـَـَ / م ـُ ن /ع ـَ/ ل ـَ ي/ هـ ـِ.

ص م / ص م م / ص م ص/ ص م/ ص م ص/ ص م.

a	u	i	aa	uu	ii	ق م	م م م	غ م م	م ط	H.v	M.v	L.v	ج	هـ
3	1	1	1	0	1	3	1	2	0	4	4	0	6	2

2 - قال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾[2]

س ـَ/ ل ـَـَ / م ـُ ن/ ع ـَ / ل ـَـَ / ن ـُـُ/ ح ـِ ن.

ص م / ص م م/ ص م ص/ ص م / ص م م/ ص م م/ ص م ص.

a	u	i	aa	uu	ii	ق م	م م م	غ م م	م ط	H.v	M.v	L.v	ج	هـ
2	1	1	2	1	0	2	3	2	0	7	3	0	8	2

3 - فال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[3].

س ـَ/ ل ـَـَ / م ـُ ن / ع ـَ/ ل ـَـَ / ء ـِ ب/ ر ـَـَ/ هـ ـِـ/ م ـَ.

ص م / ص م م / ص م ص/ ص م/ ص م م/ ص م ص/ ص م م/ ص م م/ ص م.

a	u	i	aa	uu	ii	ق م	م م م	غ م م	م ط	H.v	M.v	L.v	ج	هـ
3	1	1	3	0	1	3	4	2	0	7	5	0	12	2

(1) سورة مريم، الآية: 15.

(2) سورة الصافات، الآية: 79.

(3) سورة الصافات، الآية: 109.

obeikandl.com

4 – قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾[1].

س ـَ/ ل ـَـَ / م ـُ ن/ ع ـَ/ ل ـَـَ / م ـُـُ/ س ـَـَ /و ـَ/ ه ـَـَ/ ص م / ص م م /ص م ص/ ص م/ ص م م/ ص م م/ ص م/ ص م م/

ر ـُـُ/ ن ـَ.

ص م م/ ص م.

a	u	i	aa	uu	ii	ق م	م م م	غ م م	م ط	H.v	M.v	L.v	ج	هـ
4	1	0	4	3	0	4	6	1	0	10	4	0	14	3

5 – قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾[2].

س ـَ/ ل ـَـَ / م ـُ ن/ ع ـَ/ ل ـَـَ/ ء ـِ ل/ ي ـَـَ/ س ـِـِ/ ن ـَ.

ص م / ص م م/ص م ص/ ص م /ص م م/ ص م ص/ص م م/ص م م/ ص م.

a	u	i	aa	uu	ii	ق م	م م م	غ م م	م ط	H.v	M.v	L.v	ج	هـ
3	1	1	3	0	2	3	4	2	0	6	6	0	12	2

6 – قال تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[3].

س ـَ/ ل ـَـَ/ م ـُ ن/ ع ـَ/ ل ـَ ل /م ـُ ر/ س ـَ/ ل ـِـِ/ ن ـَ.

ص م /ص م م/ ص م ص/ ص م/ ص م ص/ص م ص/ ص م /ص م م/ ص م.

a	u	i	aa	uu	ii	ق م	م م م	غ م م	م ط	H.v	M.v	L.v	ج	هـ
5	2	0	1	0	1	4	2	3	0	4	4	0	12	2

(1) سورة الصافات، الآية: 120.
(2) سورة الصافات، الآية: 130.
(3) سورة الصافات، الآية: 181.

obeikandl.com

اسم السورة	رقم الآية	المصوتات القصيرة			المصوتات الطويلة			المقاطع					الذبذبات			المجهورات والمهموسات	
		a	u	i	aa	uu	ii	ق م	م م	م م	غ م م	م ط	H v	M v	L v	ج	هـ
مريم	15	3	1	1	1	0	1	3	1	2		0	4	4	0	6	2
الصافات	79	2	1	1	2	1	0	2	3	2		0	7	3	0	8	2
الصافات	109	3	1	1	3	0	1	3	4	2		0	7	5	0	12	2
الصافات	120	4	1	0	4	3	0	4	6	1		0	10	4	0	14	3
الصافات	130	3	1	1	3	0	2	3	4	2		0	6	6	0	12	2
الصافات	181	5	2	0	1	0	1	4	2	3		0	9	4	0	12	2
المجموع		20	7	4	14	4	5	19	20	12		0	43	26	0	64	13

الاستنتاجات:

1 – شيوع المصوت القصير (a) فقد تكرر (20) عشرين مرة في سياقات دعاء (سلام).

2 – شيوع المصوت (aa) أكثر من غيره فقد تكرر (14) أربع عشرة مرة

3 – ازدياد المقاطع المفتوحة، إذ وصلت إلى (39) تسعة وثلاثين مقطعاً، (19) تسعة عشر منها قصيراً، والبقية مقاطع متوسطة.

4 – الزيادة الملحوظة في نسبة الذبذبات العالية فقد وصلت إلى (43) ثلاثٍ وأربعين ذبذبة، ولم تكن الذبذبات المتوسطة قليلة فقد ظهرت (26) ستاً وعشرين مرةً، ولكن الملفت أن الذبذبات الهابطة لم تظهر في أيٍ من السياقات التي ورد فيها الدعاء بصيغة سلام للأنبياء (عليهم السلام).

5 – الظهور الواضح للمجهورات، فقد تكررت (64) أربعاً وستين مرة مقابل ظهور المهموسات (13) ثلاث عشرة مرة فقط[1].

(1) يراجع الجدول السابق.

وقبل الحديث عن الدلالات التي توحيها هذه الاستنتاجات سنتحدث عن دلالة الاشتقاق الأكبر في تقاليب (سلامٌ).

أولاً - الدلالة الاشتقاقية:

ظهر عند تفسير لفظة (سلام) أن فيها معنى الملاينة والهدوء والأمن، في الآيات التي وردت فيها هذه اللفظة، ولو أجرينا الاشتقاق الأكبر على مادة (سلم) فإنها لا تخرج عن هذه المعاني، وقد ذكرها ابن جني في الخصائص وبيّنَ اشتقاقاتها، فقال: (ومن ذلك تقليب (س م ل) (س ل م) (م س ل) (م ل س) (ل م س) (ل س م) والمعنى الجامع لها المشتمل عليها الإصحاب والملاينة، ومنها: الثوب (السَّمل) وهو الخَلَقُ، وذلك لأنه ليس عليه من الوبر والزِئبر ما على الجديد، فاليد إذا مرت عليه للّمس لم يستوقفها عنه جدة المنسج ولا خشنة الملمس، . . ومنها السلامة، وذلك أن السليم ليس فيه عيب تقف النفس عليه ولا يعترض عليها به، ومنها المسْل والمَسَلُ والمسيل كلّه واحد. . . ثم قال: فأما (ل س م) فمهمل، وعلى أنهم قالوا: نسمت الريح إذا مرت مراً سهلاً ضعيفاً، والنون أخت اللام)[1]. والذي نراه أن الأخير بمنأى عن المعنى الجامع، وإن التشارك السموي لا يعني تقارب الدلالة. وهكذا يجمع ابن جني (ت392هـ) اشتقاقات (س ل م) ضمن معنى واحد هو الملاينة والسهولة.

وقال عن التقاليب الأخرى: (ومنها الأملس والملساء وذلك أنه لا اعتراض على الناظر فيه والمتصفح له. ومنها اللمس وذلك أنه إن عارض اليد شيء حائل بينها وبين الملموس لم يصح هناك لمس، فإنما هو إهواء باليد نحوه، ووصول منها إليه لا حاجز ولا مانع، ولا بد مع اللمس من إمرار اليد وتحريكها على الملموس ولو كان هناك حائل لاستوقفت به عنه)[2].

ولا ينكر ابن جني ما في هذا الأمر من العنت وأنه لا يطرد في الألفاظ كلها

(1) الخصائص: 1/ 492 - 493.
(2) الخصائص: 1/ 493.

لذا قال: (واعلم أنّا لا ندعي أن هذا مستمر في جميع اللغة، كما لا ندعي للاشتقاق الأصغر أنه في جميع اللغة)[1]. ولكنه يغري الباحث بالسير على هذا النحو كي يظفر بأسرار مفردات هذه اللغة فيقول: (وقد رسمت لك منه رسماً فاحتذه وتقيله تحظ به، وتكثر إعظام هذه اللغة الكريمة من أجله)[2].

(فالسلام) سِلمٌ كلّه ليّن سهلُ المادة توحي تقاليبه بالملاينة والهدوء، وهذا من أسرار هذه اللفظة التي لم تأت اعتباطاً في هذه المواضع وإنما اختارها الصانع القدير (جلَّ وعلا) فأعجز وأبهر وهذا ما يكشف جانباً من روعة القرآن وأسراره.

وهذا النوع من الاشتقاق وإن لم يكن مطرداً في تقاليب المادة اللغوية العربية، فإنه يصدق على كثير من مواد اللغة، (ولقد سبق إلى فكرة التقليب الخليل بن أحمد (ت175 هـ) في كتابه العين، ولكنه لم يلتفت إلى وحدة المعنى، كما التفت بعده أبو علي الفارسي (ت377هـ) ولقنها تلميذه ابن جني الذي استكثر منها في (خصائصه) وسماه الاشتقاق الأكبر وجعله من سنن العربية)[3].

ثانياً - دلالة الفونيمات:

من المعلوم أن (على) غالباً ما تستعمل لإيصال الشرّ والذم قال ابن منظور (ت711هـ): (وأما الشرّ والذّمّ فيقدم الضمير كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾[4] وكقوله: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾[5] [6].

والأمر بالصولة والكرّ على الأعداء يكون بلفظة (عليهم)، أي اهجموا

(1) الخصائص: 1/ 493.
(2) المصدر السابق نفسه.
(3) العربية والبحث اللغوي المعاصر: 50.
(4) سورة صّ، الآية: 78.
(5) سورة التوبة، الآية: 98؛ وسورة الفتح، الآية: 6.
(6) لسان العرب: مادة (سلم).

عليهم، (وهي تفيد الأذى والاستعلاء والضرر)[1] لذلك فإن سماع هذهِ الكلمة يكون نذير شرّ وشؤم، (وقد بقي في استعمال (على) شيء من هذا الجنوح إلى الشرّ)[2]، ولكنها مع كلمة (سلام) لا تكون كذلك، لأن السلام ضدُ الشر، والتلفظ به أولاً يزيل الإحساس بالشر والآفة فيطمئن سامعها ولا يضره بعد ذلك ذكر (عليك)، لأنه قد أنست نفسه بذكر (السلام) أولاً.

ومعنى السلام الذي هو مصدر (سلمتُ) أنه (دعاءٌ للإنسان بأن يسلم مِن الآفات في دينه ونفسه)[3]، وهذا ما يستشعره الإنسان من فونيمات (السلام) حيث الفونيم (س) من المهموسات وهو يبعث الراحة في النفس، وذلك بجرسه الهادئ وهمسه وقد جاء هذا الفونيم في أكثر من موضع في القرآن حاكياً جو الهدوء والسكينة.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾[4]، فقد صور الفونيم (س) جو الصمت والسكينة في آخر الليل ومطلع النهار، (وهذا اللفظ (تنفس) المشرقُ الرشيق أعطى الحياة للصبح فهو في تعبير القرآن حيٌ لم تشهده من قبل عينان)[5].

وقال تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾[6].

يقول سيد قطب: (اقرأها متوالية تجد صوتك يُحدث (وسوسةً) كاملةً تناسب جوَّ السورة)[7]. ومثلها التعبير عن النوم بالنعاس، ﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً

(1) قل ولا تقل: 100.
(2) من أساليب القرآن: 15.
(3) لسان العرب: مادة (سلم).
(4) سورة التكوير، الآيتان: 17، 18.
(5) التصوير الفني في القرآن: 78، 202.
(6) سورة الناس، الآيتان: 4، 5.
(7) التصوير الفني في القرآن: 78.

مِّنْهُ﴾[1]. (تجد جو النعاس الرقيق اللطيف، وكأنه غشاء شفيف يغشى الحواس في لطف ولين: «أَمَنَةً مِنْهُ» فالجو كلّه أَمْنٌ ودعة وهدوء)[2]. هكذا تكون الألفاظ أحياناً دالة بجرس فونيماتها على بعض مدلولاتها، (والدلالة الصوتية في البحث اللغوي قديمة راسخة أطراها ابن جني وأقرَّ صلاحها)[3].

ولكن الحكم على ظاهرة المحاكاة الصوتية يجب أن يتوافر فيها (الربط الدقيق بين صفة الصوت ومخرجه وما يوحي به أو يحكيه في سياقه الخاص كأن يكون مهموساً أو مجهوراً، رخواً أو شديداً، من أصوات الصفير أو من أصوات الحلق)[4].

والسين (صوت لثوي رخو مهموس وهو ذو دلالة عامة على الـكينة والهدوء والضعف، وتجد من تلك المعاني في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩﴾[5]. فالخنس هي الكواكب التي تخنس في بعض دوراتها فلا تظهر... ولو تأملنا المعنى العام للسياق لرأيناه دالاً على معنى الهدوء والاختفاء والـكينة)[6].

وفونيم (السين) إلى جانب دلالته على الهدوء والـكينة فإنه يدل أيضاً على الامتداد ويتميز بإحساس سمعي صفيري، وهو عندما يقع (في أول اللفظة لابد أن يشد المتكلم في أثناء التلفظ به فيمنحه ذلك فعالية انزلاقية تحاكي الأحداث الدالة على التحرك والمسير)[7].

ومن أكثر ألفونات هذا الفونيم شيوعاً هو الصوت الاحتكاكي الصفيري

(1) سورة الأنفال، الآية: 11.
(2) التصوير الفني في القرآن: 78.
(3) جرس الألفاظ: 290.
(4) من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم: 78.
(5) سورة التكوير، الآيات: 15 - 19.
(6) من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم: 78.
(7) خصائص الحروف العربية ومعانيها: 114.

(Sibilant) غير المصوت الذي يظهر على شكل ضجيج Noise عشوائي يتراوح مداه بين 100-170 م/ث في أعلى مناطق الذبذبة التي تبدأ من 3000 د/ث تقريباً[1]. هذه القوة الأكوستيكية في فونيم (س) تجعله متميزاً بتردد ذبذبي عالٍ يوصله إلى مديات بعيدة، وهذا مطلوب في دعاء (سلام) فهو يمتد ليشمل كل ما يحيط بالمدعو له ثم يلي ذلك فونيم الـ(ل) وهو صوت لثوي جانبي مجهور متوسط الشدة مقطعي موسيقي إيقاعي (يتراوح مداه بين 80-120 م/ث)[2].

(وإن هذا الفونيم يوحي بمزيج من الليونة والمرونة والتماسك والالتصاق)[3].

وهو (من الفونيمات الثابتة التي لا تتغير من لهجة إلى أخرى)[4]، وله ألفونان، فيلفظ مرققاً ومغلظاً (على أن الأصل في اللام العربية الترقيق)[5]، وقد سماها سيبويه المنحرفة قال: (ومنها المنحرف، وهوحرف شديد جرى فيه الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام. وإن شئت مددت فيها الصوت، وليس كالرخوة لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه)[6].

ومجيء اللام بعد السين في دعاء (سلام) يوحي بوقع مريح في الأذن يعبر عن جمال السلام وجميل أثره. وغالباً ما يُكَوِّن تتابع هذين الفونيمين جرساً موسيقياً يكون بهما التعبيرُ عن السلاسة والسهولة والرقة، فمثال ذلك في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾[7]، (أي يشربون من عين في الجنة تسمى السلسبيل)[8]، (وسلسبيلا لسلالة انحدارها في الحلق وسهولة

(1) التشكيل الصوتي: 75.
(2) التشكيل الصوتي: 77.
(3) خصائص الحروف العربية ومعانيها: 79.
(4) الأصوات اللغوية (الخولي): 95.
(5) الأصوات اللغوية (أنيس): 58.
(6) الكتاب: 4/ 435.
(7) سورة الإنسان، الآية: 18.
(8) صفوة التفاسير: 3/ 494.

مساغها. . . يقال شراب سَلسَل وسَلسَبيل وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة)[1]. فكأن كلمة سلسبيل تحكي بصوتها رقرقة الماء وسيلانه في الجنة، والتشكيل بين السين واللام في لفظة سلام أضفى على المفردة رقة وعذوبة فهو دعاء رقيق يشيع جواً من الطمأنينة. ثم تلا هذين الفونيمين الصامتين مصوت مقطعي إيقاعي هو (الألف) الذي أضفى على اللفظة جهراً وامتداداً وعلواً واضحاً فإن (الألف الليّنة التي تقع في أواسط المصادر أو أواخرها يقتصِر تأثيرها في معانيها على إضفاء خاصية الامتداد عليها في المكان والزمان)[2]. والفم في أثناء النطق بالألف يكون أكثر اتساعاً من المصوتات الأخرى (وتكثر الطليقات ومنها الألف بالذات في مقامات الحكاية والوصف والتقرير)[3]، والدعاء بصيغة (سلام) إنما هو بيان لحال المدعو لأجلهم وتقرير لسلامتهم وأمنهم من فزع الدنيا وهول الآخرة.

(وقد وردت في القرآن الكريم ألفاظ تميزت بقيمتها التعبيرية وذلك بجرسها الذي تلقيه في الأذن وبقدرتها على إثارة الخيال معتمدة في ذلك جرس أصوات اللين الطويلة منها والقصيرة)[4].

وخُتمت لفظة (سلام) بفونيم الميم المجهور المتوسط الشديد الناتج عن انطباق الشفتين في ضمة متأنية، إلى جانب اتصافه (بشيء من الليونة والمرونة والتماسك مع شيء من الحرارة)[5]، فهذه السمات انتقلت على نحو انسيابي وأضفت المناخ الهادئ المفعم بالمشاعر والأحاسيس.

وفونيم الميم (أنفي يتراوح مداه (Duration) بين 70-90 م/ث أي إن الزمن الذي يستغرق إحداث هذا الصوت يتراوح بين: 70-90/ 1000 من

(1) الكشاف: 4/ 198.
(2) خصائص الحروف العربية ومعانيها: 97.
(3) من صور الإعجاز الصوتي في القرآن: 80.
(4) دلالات أصوات اللين: 89.
(5) خصائص الحروف العربية ومعانيها: 72.

الثانية)[1]. ويتسم بأنه يمتلك رنيناً Resonance ضعيفاً يظهر على شكل (Formants) على امتداد الخط القاعدي، وهذا يشبه الباء إلا في الغنة)[2]، وهذا الرنين مع الغنة أعطيا السلام إيقاعاً ووقعاً جميلين ملموسين، وهكذا تتواشج فونيمات (السلام) وتتوارف معاً مشكلة جرساً موحياً بالألفة والطمأنينة والهدوء والدعة يتناسب ودلالة المفردة وإيحاءها.

ثالثاً - دلالة المصوتات:

بينت الدراسة الصوتية شيوع نسبة المصوت القصير (a) في الآيات التي ورد فيها الدعاء بصيغة (سلام)، فقد ورد عشرين مرة، تلاه المصوت (u) الذي جاء سبع مرات وشكلت الكسرة النسبة الدنيا، إذ وردت أربع مرات فقط.أما المصوتات الطويلة فكان الأشيع فيها المصوت (aa) الذي تكرر أربع عشرة مرة، يليه المصوت (ii) الذي ظهر خمس مرات، وورد المصوت (uu) أربع مرات[3].

هذه النسب ليست خالية من إيحاء دلالي، (فعلم اللغة الحديث يتعامل مع الحركة على أنها عنصر له أهمية في التعبير عن المعنى)[4]. وإن كان لثقل المصوتات وخفتها أثر في الشيوع كما يرى العلماء، (فإن أثقل الحركات الضمة لأنها لا تتم إلا بضم الشفتين، ولا يتم ذلك إلا بعمل العضلتين الواصلتين إلى طرف الشفة، وأما الكسرة فإنه يكفي في تحصيلها العضلة الواحدة الجارية، ثم الفتحة يكفي فيها عمل ضعيف لتلك العضلة)[5].

وحسب قانون بذل الجهد الأقل تكون نسبة الفتحة أكثر من نسبة الكسرة وهي أكثر من الضمة، والمصوتات حسب شيوعها: (الفتحة، الكسرة، الفتحة

(1) التشكيل الصوتي: 51.
(2) التشكيل الصوتي: 51.
(3) ينظر الجدول: 110.
(4) الصوائت والمعنى في العربية (دراسة دلالية ومعجمية): 17.
(5) التفسير الكبير: 1/ 47.

الطويلة (aa) الألف، الضمة، الكسرة الطويلة (ii) الياء، الضمة الطويلة (uu) الواو)[1].

وليس مرد الشيوع إلى سهولة النطق فقطْ بل تتحكم في ذلك أمور أخرى منها الدلالة الصوتية، فقد تُفَرِّقُ العرب بين المعنيين بتغير حركة الحرف في بنية الكلمة، فمن ذلك أنهم قالوا (جُمامُ المكّوك دقيقاً، وجِمامُ القدح ماءً، وذلك لأن الماء لا يصح أن يعلو على رأس القدح كما يعلو الدقيق ونحوه على رأس المكّوك، فجعلوا الضمة لقوتها فيما يكثر حجمه، والكسرة لضعفها فيما يقل بل يُعدم ارتفاعه)[2].

فللمصوتات (مهمة جليلة في اللغة العربية، وعلى وجه الخصوص موسيقاها حيث تعد أساساً لقوة الإسماع في هذه اللغة الراسخة القدم في تأريخ المشافهة)[3].

وشيوع المصوتات أو التحويلات التي تطرأ عليها عند علماء التجويد يؤدي غرضاً معنوياً، (فالسبب المقتضي لزيادة المد قسمان: معنوي ولفظي، المعنوي هو قصد المبالغة في النفي، مثل ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[4]، ومنه مدّ التعظيم في نحو ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[5]، واللفظي هو ما مُدّ من أجل الهمزة والسكون)[6].

وكل هذه الأمور تتمثل في دعاء (سلام) فإن غلبة المصوت (a) والمصوت الطويل (aa) يحمل هذه الدلالات كلّها، أعني: الوضوح السمعي في إبلاغ السلام والدعاء، ومد الصوت في هذا الدعاء باعتماد المصوتات يوحي بالتعظيم وقصد المبالغة، وإضفاء الصفة الموسيقية على هذا الدعاء لكي يتناغم مع الرقة والسلاسة التي يوحيهما الدعاء بصيغة (سلام).

---

(1) دلالات أصوات اللين في العربية: 52.
(2) المحتسب: 2/ 63.
(3) الزحاف والعلة رؤية في التجريد والأصوات والإيقاع: 200.
(4) سورة البقرة، الآية: 2.
(5) سورة الصافات، الآية: 35.
(6) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: 526.

رابعاً - دلالة المقاطع:

بلغت نسبة المقاطع المتوسطة في الآيات التي ورد فيها الدعاء بصيغة (سلامٌ) (32) اثنين وثلاثين مقطعاً، كان نصيب المقاطع المفتوحة منها (20) عشرين مقطعاً. مقابل (12) اثني عشر مقطعاً مغلقاً.

وتكررت المقاطع القصيرة (19) تسع عشرة مرة. (ويؤكد (Oliver) من خلال تجاربه المختبرية أن التفاوت في تشكيل طول المقاطع يثير الإحساس بالسرعة أو البطء)[1].

فالمقاطع القصيرة توحي بالسرعة، والمقاطع الطويلة والمديدة توحي بالبطء، والمقاطع المتوسطة توحي بالثبات والاستقرار والبعد عن الانفعال، وهذه السمات تلائم أغراض المدح والفخر، وترتب على ذلك غلبة نسبة المقاطع المتوسطة في هذا النوع من الدعاء كونه قد جاء مدحاً وتشريفاً للمرسلين، لأن الله سبحانه وتعالى عندما يدعو لمخلوقه فإنه يزيده رفعةً وافتخاراً، واللغات بصورة غالبة تميل إلى الكلمات القصيرة (فبإحصاءات مختلفة تمت على اللغات الألمانية والصينية واللاتينية والإنجليزية تبين أن اللغات تفضل الكلمات القصيرة البنية أو بعبارة أخرى القليلة المقاطع. . . وفي إحصاء أجري على مادة ألمانية مكتوبة تتكون من أكثر من 10 ملايين كلمة (20 مليون مقطع) تبين أن الكلمات ذات المقطع الواحد وصلت نسبتها إلى حوالي 50 %)[2].

وهذه القاعدة لا يتم العدول عنها إلا لغرض بلاغي أو دلالي، يتناغم والمقاطع المتوسطة. وإن كان بعض الدارسين لا يرون تأثيراً للمقاطع ونسبة ورودها في الكلام من الناحية الدلالية فهنالك من يولي المقطع أهمية كبيرة إذ يعد من السمات الأساسية في علم الصوتيات.

إذ (إن المقطع وحدة صوتية يعيها المتحدث وعياً تاماً، ويصبح هم العالِم

(1) منهج النقد الصوتي: 49.
(2) دراسة الصوت اللغوي: 306.

الصوتي محاولة كشف الحقيقة الأكوستيكية والنطقية في أصل تجميع الأصوات على شكل مقاطع)[1].

و(الجوانب التطبيقية للنظام المقطعي يمكن أن تشمل كثيراً من التغيرات الصوتية في بنية الكلمات العربية، وبعض الظواهر النحوية المتعلقة بالحركات وحروف المدّ)[2]، ومن زيادة همزة الوصل في أول فعل الأمر، وعدم جواز التقاء الساكنين[3] وغير ذلك.

فالمقاطع لها قيمتها في توضيح الدلالات من خلال تنوعاتها وأشكالها سواء أكان ذلك من الناحية الأكوستيكية (كونها نبضة صدرية)[4] أم الناحية الوظيفية (إذ يكشف لنا ملامح الطول والنبر والنغم)[5]. فالنبضة الصدرية تتباين من شخص لآخر ومن حالة لأخرى تبعاً للعوامل الخارجية والانفعالات المؤثرة، حيث يترك أثراً في كمية المقاطع ونوعها، ومن خلال دراستها تتضح لنا كثيرٌ من السمات الكامنة في الكلام، التي لا يمكن فهمها إلا من خلال دراسة بنية التشكيل المقطعي والدلالات التي تتركها طبيعة تنوعها.

خامساً - دلالة الذبذبات:

كشفت آيات الدعاء بصيغة (سلام) خلوها من الفونيمات ذوات الذبذبة الواطئة وهي (خ، ذ، ت، ض، ص، ط، ظ، غ، ز، ث) فلم يرد أيٌّ منها في هذا النوع من الدعاء[6]. الأمر الذي ينسجم والدعاء بصيغة (سلام)، لأن هذه الفونيمات (ترد غالباً في مناسبات الرثاء وبكاء الأطلال والحزن والغم)[7]. مما

(1) الصوتيات: 124.
(2) المدخل إلى علم أصوات العربية: 214.
(3) ينظر (المدخل إلى أصوات العربية: 211- 212).
(4) دراسة الصوت اللغوي: 285.
(5) دراسة الصوت اللغوي: 285.
(6) راجع الجدول: 110.
(7) محاضرات في الأصوات اللغوية للدكتور نوزاد حسن الملقاة على طلبة الماجستير (2005م).

لا يتلاءم وسياق الدعاء بصيغة (سلام) فإنها للانشراح وإدخال السرور إلى المدعو لهم (المرسلين) عليهم السلام، فكان اختفاء هذه الفونيمات متناغماً وهذا النمط من الدعاء.

إلى جانب الغلبة البيّنة للفونيمات ذوات الذبذبة العالية التي بلغت (43) ثلاثة وأربعين فونيماً في الآيات الست التي أجرينا عليها الدراسة الصوتية، ولم تكن نسبة الفونيمات ذوات الذبذبة المتوسطة قليلة إذ بلغت (26) ستاً وعشرين ذبذبة[1].

ومن بين الفونيمات ذوات الذبذبة العالية تبرز (اللام والراء والنون) المسميات عند القدامى بالأصوات الذلقية، (ووجه الشبه بين أفراد هذه المجموعة.. كما يراه المحدثون أنها مع قرب مخرجها تشترك في نسبة وضوحها الصوتي، وأنها من أوضح الأصوات الساكنة في السمع ولهذا أشبهت من هذه الناحية أصوات اللين، فهن جميعاً لسن شديدات أي لا يسمع معهن انفجار، وليست رخوة فلا يكاد يسمع لها ذلك الحفيف الذي تتميز به الأصوات الرخوة)[2].

هذا الوضوح مطلوب كما أشرنا سابقاً في دعاء (سلامٌ) وهذه الميزة تشترك مع المميزات الأخرى في إضفاء الوضوح الصوتي المنشود في هذا الدعاء وتضفي هذه الفونيمات سمة العظمة والهيبة والوقار على التركيب الذي يتضمنها، وهذا التلوين له أثره أيضاً في الدعاء بهذه الصيغة فإنها إلى جانب كونها دعاءً بالسلامة توحي أيضاً بالعظمة والتوقير لمن دعي لأجلهم وهم الرسل عليهم السلام والفونيمات ذوات الذبذبة المتوسطة غالباً ما تأتي لتصوير حالة المدح والرضى والوصف، وارتفاع نسبتها في هذا الدعاء له أثره في هذا الجانب فإن هذا الدعاء فيه الوصف بالسلامة إلى جانب مدح المدعو لأجلهم والرضى عنهم. وهذا ما يفسر كثرة تردد هذه الفونيمات في الآيات الست.

---

(1) مؤشرة في الجدول.

(2) الأصوات اللغوية (أنيس): 58.

وثمة ملحظ آخر هو خلو الآيات الست التي أجرينا عليها الدراسة الصوتية من الفونيمات ذوات الذبذبة الواطئة (L.V)، وَوُرُودُ هذه الفونيمات في سياق الحزن والرثاء والبكاء على الأطلال مسوغٌ لعدم ظهورها في الأدعية الواردة بصيغة (سلام) لما لهذا الدعاء من التشريف والتكريم والتوقير، هذه الميزات المفضية إلى سعادة المدعو لهم.

سادساً - دلالات الجهر والهمس:

مما لفت نظرنا في أثناء الدراسة الصوتية لآيات الدعاء بصيغة (سلام)، الغلبة الواضحة للأصوات المجهورة في مقابل قلة الأصوات المهموسة، فقد بلغت نسبة المجهورات (64) أربعة وستين فونيماً مقابل (13) ثلاثة عشر فونيماً مهموساً[1] عدا المصوتات. ومن المعلوم أن الجهر يؤدي (دوراً إيجابياً في وضوح الصوت في حين يجسد الهمس دوراً سلبياً له، لأن علو الصوت يعتمد على معدل ذبذبة الأوتار الصوتية، فكل انغلاق وانفتاح للأوتار الصوتية في الحنجرة يؤدي إلى ظهور قمة من ضغط الهواء، لذلك يكون الصوت المجهور أوضح من الصوت المهموس)[2]، والدعاء كونه نوعاً من أنواع الطلب (أمر أو نهي مجازي) يستوجب الوضوح الصوتي، ولفظة (السلام) تجمع بين الدعاء والتحيّة... التي تتسم بوضوح الصوت وهذا ما فسر غلبة المجهورات على المهموسات بشكل واضح وقد (وجِد أن تجمع الأصوات المجهورة في المقاطع واستمرار طول الانفجار في الأصوات، ينسق التنغيم ويساعد على تداخله مع الصيغ المجهورة الأخرى... وأن استمرار الجهر ما هو إلا استمرار للوظيفة الداخلية للمقاطع، وهو الجسر الذي يربط طول المقاطع مع قمة النغمة وتوقعاتها)[3]، وقد ساعدت المجهورات في دعاء (سلام) على تنسيق تنغيم

(1) راجع الجدول: 110.
(2) منهج النقد الصوتي: 49.
(3) منهج النقد الصوتي: 49 – 50.

الدعاء فيه، (ذلك التنغيم العادي /ح/ المصاحب للجمل الإخبارية التي تخلو من الانفعال)[1]. فالجهر أدى وظيفة ثنائية وهي الوضوح المطلوب في الدعاء والتحية بصيغة (سلام) والتنغيم المنسَّق الذي يتطلبه هذا النوع من الدعاء.

(1) ينظر: الأصوات اللغوية للخولي: 170.

obeikandl.com

المبحث الثاني:

دراسة صوتية لدعاء الأنبياء عليهم السلام لأنفسهم ولغيرهم بصيغة غفر ومشتقاتها

يحاول البحث أن ينحو منحى تطبيقاً، ويتجلى ذلك من خلال تحليل البنية المقطعية لعدد من آيات الدعاء بهدف الوقوف عند البنية التكوينية للمقطع الصوتي للألفاظ التي تتضمن الدعاء والتي تتعاور ضمن آيات توحي بذلك، ولاشك أننا نبغي من وراء ذلك الكشف عن سمات المقاطع بعد بيان سمات الأصوات من حيث الطول والقصر وعدد الذبذبات والأصوات المجهورة والمهموسة والتي تغدو سبيلاً يهدينا إلى ما نتوخاه، وهو الوقوف عند أسرار الأصوات المكونة لآيات الدعاء، ومن ذلك الآيات التي تتضمن دعاء الأنبياء لأنفسهم ولغيرهم بصيغة (غفر) ومشتقاتها، فقد تتبعنا الآيات التي ورد فيها هذا النوع من الدعاء فتبين لنا أنها تتكرر في أحد عشر موطناً في القرآن الكريم هي:

1 – قال تعالى: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1].

2 – قال تعالى: ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾[2].

3 – قال تعالى: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[3].

4 – قال تعالى: ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[4].

---

(1) سورة المائدة، الآية: 118.
(2) سورة الأعراف، الآية: 155.
(3) سورة هود، الآية: 47.
(4) سورة يوسف، الآية: 92.

5 – قال تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾[1].

6 – قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾[2].

7 – قال تعالى: ﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾[3].

8 – قال تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي﴾[4].

9 – قال تعالى: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي﴾[5].

10 – قال تعالى: ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[6].

11– قال تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾[7].

والغفر في اللغة: الستر، ومنه قولهم (واصبغ ثوبك بالسواد فإنه أغفر للوسخ، أي أَحْمَلُ وأَسْتَرُ)[8]، (وغفر يغفره: ستره، وغفر الله له ذنبه يغفره غفراً وغِفَرة حسنة بالكسر، ومغفرة وغُفراناً بضمها، وغَفيراً وغَفيرةً غطى عليه وعفا عنه)[9].

وأصل الغفر: (التغطية والستر، وقد غفره يغفره غَفراً: ستره)[10] و(الغَفور: من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الساتر على عبادهِ ذنوبهم، ومنه (المِغْفَر) لأنه يستر الرأس، وغفرتُ المتاع في الوعاء: إذا جعلته فيه لأنّه يغطيه ويستره)[11].

---

(1) سورة إبراهيم، الآية: 41.
(2) سورة الشعراء، الآية: 81.
(3) سورة الشعراء، الآية: 86.
(4) سورة القصص، الآية: 16.
(5) سورة صٓ، الآية: 35.
(6) سورة الممتحنة، الآية: 5.
(7) سورة نوح، الآية: 28.
(8) أساس البلاغة: مادة (غفر).
(9) القاموس المحيط: مادة (غفر).
(10) لسان العرب: مادة (غفر).
(11) معترك الأقران في إعجاز القرآن: 2/ 629.

وتدور معاني الدعاء بهذه الصيغة حول هذه الدلالة، فإن الأنبياء عليهم السلام عندما يدعون لأنفسهم أو لغيرهم فإنهم إنما يطلبون الستر وتغطية الذنوب والتجاوز عنها.

والملاحظ أن الدعاء قد جاءَ أحياناً بفعل الأمر المجازي (اغفر) وتكرر هذا النمط سبع مرات هي:

(فاغفر لنا، ربنا اغفر لي، فاغفر لي، واغفر لأبي، واغفر لنا، ربِّ اغفر لي، مرتين)، وجاء مرتين بصيغة المضارع (تغفر) في موطنين هما (وإن تغفر لهم...) و(وإلا تغفر لي...).

وجاء مرتين أيضاً بصيغة المضارع (يغفر) في موطنين آخرين هما (يغفر الله لكم...) و(أن يغفر لي...) والآية الأولى التي جاءت بصيغة (تغفر) كانت في سورة المائدة حكاية لقول سيدنا عيسى عليه السلام عندما يدافع عن نفسه من تهمة ألصقها به الضالون من أمته، قال تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾[1]، ثم يستطرد في الدفاع عن أمته قائلاً: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2]، فجاء الدعاء بصيغةٍ مهذبة فيها كثير من الأدب في الخطاب، فهو طلب خفي مشوب بأمل كبير في رحمة الله تعالى، وكان دعاء سيدنا موسى عليه السلام في سورة الأعراف، عندما أمره الله تعالى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العِجْل ووعدهم موعداً فاختار موسى قومه سبعين رجلاً ثم ذهب بهم ليعتذروا، فلما أتوا ذلك المكان، قالوا: لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرةً، فإنك قد كلمته فأرِناه فأخذتهم الصاعقة، فماتوا، فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول: (رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتُهم وقد أهلكت خيارهم، ولو شئت أهلكتهم من قبل وإياي)[3]. ثم يطلب المغفرة له ولأمته قائلاً ﴿فَٱغْفِرْ

(1) سورة المائدة، الآية: 116.
(2) سورة المائدة، الآية: 118.
(3) تفسير الطبري: 9/ 87-88.

لَنَا﴾ أي (فاستر علينا ذنوبنا بتركك عقابنا عليها)[1]. وارحمنا برحمتك الواسعة (وأنت خير الغافرين للذنوب تغفر لمحض الفضل والجود لا لمصلحة)[2].

والغفر: هو (الستر وترك المؤاخذة بالذنب، والرحمة إذا قُرنت مع الغفر يُراد بها أن لا يوقعه في مثله في المستقبل)[3].

وفي سورة هود جاء دعاء سيدنا نوح عليه السلام بعد أن طلب النجاة لابنه وردّ اللهُ ذلكَ الطلبَ قائلاً: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾[4] فاعتذر نوحٌ عليه السلام من ذلك وقال ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[5]، والملاحظ أن نوحاً عليه السلام لم يؤكد كلامه بمؤكد لأنه عليه السلام (فهم أن ابنه يدخل مع أهله الناجين فبين اللهُ أنه ليس من أهله لأنه كافر، فطلب من ربه المغفرة لما سأل، ولذلك لم يأت الكلام مؤكداً)[6]. ولكنه مع ذلك اعتذر لله تعالى على ما بدر منه (فذنوب الأنبياء مع أنها مغفورة لهم لو صدرت منهم لكنها ثقيلة عندهم لشدة خوفهم من الله)[7]، وجاء الدعاء الآخر في سورة (يوسف) عندما دعا يوسف عليه السلام لإخوانه بعد أن تابوا وأنابوا قائلاً: ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[8]، فهذا (دعاءٌ مِن يوسف لإخوته بأن يغفر الله لهم ذنبهم فيما أتوا إليه وركبوا منه من الظلم، يقول: عفا الله لكم عن ذنبكم وظلمكم فستره عليكم ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾. . ممن تاب من ذنبه وأناب إلى طاعته بالتوبة من معصيته)[9] ودعا سيدنا إبراهيم لنفسه ولوالديه وللمؤمنين بقوله:

(1) تفسير الطبري: 9/ 94.
(2) الموسوعة القرآنية الميسرة: 2/ 55.
(3) مختصر تفسير ابن كثير: 2/ 55.
(4) سورة هود، الآية: 46.
(5) سورة هود، الآية: 47.
(6) التعبير القرآني: 148.
(7) معترك الأقران في إعجاز القران: 2/ 27.
(8) سورة يوسف، الآية: 92.
(9) تفسير الطبري: 13/ 70.

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾[1]، وكان هذا قبل أن يتبرأ من أبيه لما تبين عداوته لله عز وجل و(للمؤمنين) أي: كلهم، يوم يقوم الحساب أي: يوم تحاسب عبادك فتجازيهم بأعمالهم إنْ خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌ)[2]، وفي موضع آخر طلب المغفرة لنفسه بأسلوب حكيم، فقال: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾[3]، وهو يطمع طمع العبيد في الموالي بالإفضال لا على الاستحقاق بالسؤال، وقيل إنه قصد بقوله (خطيئتي) قوله في سورة الصافات ﴿إِنِّي سَقِيمٞ﴾[4]، فطلب المغفرة يوم الدين أي: يوم الجزاء[5]، ودعا لوالده منفرداً عسى أن يغفر الله تعالى ذنبَه، فقال: ﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾[6] أي: (اجعله أهل المغفرة بإعطاء الإسلام، وكان وعده الإسلام يوم فارقه، والضالين معناه: الكافرين)[7].

واعتذر سيدنا موسى عن عمل أو فعل صار قتلاً، فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي﴾[8]، وجعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلماً لنفسه واستغفر منه، (لأنه قتله قبل أن يؤذن له في القتل فكان ذنباً يستغفر منه)[9].

وعند طلب سليمان عليه السلام الملك، قدَّم الاستغفار على استيهاب الملك جرياً على عادة الأنبياء والصالحين في تقديم الاستغفار على السؤال، فقال: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا﴾[10]، فقدم (الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بأمر

(1) سورة إبراهيم، الآية: 41.
(2) مختصر ابن كثير: 2/ 37.
(3) سورة الشعراء، الآية: 82.
(4) سورة الصافات، الآية: 89.
(5) ينظر: تفسير النسفي: 822.
(6) سورة الشعراء، الآية: 86.
(7) النسفي: 823.
(8) سورة القصص، الآية: 16.
(9) الكشاف: 2/ 168-169.
(10) سورة صٓ، الآية: 35.

الدين ووجوب تقديم ما يجعل للدعاء بصدد الإجابة)[1] وعاد سيدُّنا إبراهيم إلى الدعاء وطلب المغفرة في سورة الممتحنة، فقال: ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[2] أي: (اغفر لنا ما فرط منا فإنك أنت العزيز الحكيم ومن كان كذلك كان حقيقاً بأن يجير المتوكل ويجيب الداعي)[3].

ولأن الأنبياء من طبعهم السخاء دعا نوح عليه السلام لنفسه ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات ومن دخل بيته منهم، فقال: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا﴾[4]، (قال سعيد بن جبير: أراد بوالديه: أباه وجده... وقال ابن عباس: لم يكفر لنوح والد فيما بينه وبين آدم عليه السلام، وقوله: ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ أي: مسجدي ومصلاي مصلياً مصدقاً بالله، وكان إنما يدخل بيوت الأنبياء من آمن منهم فجعل المسجد سبباً للدعاء بالمغفرة)[5].

فهذه هي السياقات التي ورد فيها دعاء بصيغة (غفر) ومشتقاتها دعاءً من الأنبياء عليهم السلام لأنفسهم ولغيرهم، وسنحاول من خلال الدراسة الصوتية الغوص أكثر في بواطن ومكامن الدعاء بهذه الصيغة رابطين الدلالة الصوتية بالسياق.

دراسة البنية المقطعية لآيات الدعاء بصيغة (غفر):

1 - قال تعالى: ﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[6].

و ـَ/ء ـِ ن/ ت ـَ غ/ ف ـِ ر/ ل ـَ/ هـ ـُ م/ ف ـَ/ ء ـِ ن/ ن ـَ/

ص م /ص م ص/ص م ص/ ص م ص/ ص م /ص م ص / ص م / ص م ص/ ص م/

(1) تفسير البيضاوي: 4/ 492.
(2) سورة الممتحنة، الآية: 5.
(3) تفسير البيضاوي: 5/ 296.
(4) سورة نوح، الآية: 28.
(5) القرطبي: 18/ 270.
(6) سورة المائدة، الآية: 118.

ك ـَ/ ء ـَ ن/ ت ـَ ل/ع ـَ/ ز ـِـ/ز ـُ ل /ح ـَ/ ك ـِـ/ م ـُ.

ص م / ص م ص/ ص م ص/ ص م/ ص م م/ص م ص/ ص م/ ص م م/ ص م.

هـ	ج	L.v	M.v	H.v	م ط	غ م م	م م م	ق م	ii	uu	aa	i	u	a
8	22	5	11	10	0	8	2	8	2	0	0	3	3	10

2 - قال تعالى: ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾[1].

ف ـَ غ/ف ـِ ر/ ل ـَ/ ن ـَـَ/ وـَ ر/ ح ـَ م/ ن ـَـَ/ وـَ/ ء ـَ ن/

ص م ص/ ص م ص/ ص م /ص م م/ ص م ص/ص م ص/ ص م م/ ص م/ص م ص/

ت ـَ/خ ـَ ي/ر ـُ ل/ غ ـَـَ/ف ـِ/ ر ـِـ/ ن ـَ.

ص م /ص م ص/ص م ص/ص م م/ ص م /ص م م/ ص م.

هـ	ج	L.v	M.v	H.v	م ط	غ م م	م م م	ق م	ii	uu	aa	i	u	a
6	24	4	8	13	0	7	4	5	2	2	3	2	1	9

3 - قال تعالى: ﴿وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[2].

و ـَ/ ء ـِ ل/ ل ـَـَ/ ت ـَ غ/ ف ـِ ر/ ل ـِـ/ وـَ/ ت ـَ ر/ ح ـَ م/

ص م / ص م ص/ص م م/ ص م ص/ ص م ص/ص م م/ ص م /ص م ص/ ص م ص/

ن ـِـ/ ء ـَ/ك ـُ ن/ م ـِ/ ن ـَ ل/ خ ـَـَ/ س ـِ/ ر ـِـ/ ن ـَ.

ص م م/ ص م/ ص م ص/ ص م/ص م ص/ ص م م/ ص م / ص م م/ ص م.

(1) سورة الأعراف، الآية: 155.

(2) سورة هود، الآية: 47.

obeikandl.com

a	u	i	aa	uu	ii	ق م	م م م	غ م م	م ط	H.v	M.v	L.v	ج	هـ
8	1	4	2	2	3	6	5	7	0	15	9	4	23	7

4 – قال تعالى: ﴿يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[1].

ي ـَ غ/ ف ـِ/ ر ـُ ل/ ل ـــَـــ/ هـ ـُ/ ل ـَ/ ك ـُ م / و ـَ/ هـ ـُ/ و ـَ/

ص م ص/ ص م /ص م ص/ص م م/ ص م / ص م /ص م ص/ ص م/ ص م / ص م/

ء ـَ ر/ ح ـَ/ م ـُ ر/ ر ـــَـــ/ ح ـِ/ م ـــِـــ/ ن ـَ.

ص م ص / ص م/ص م ص/ص م م/ ص م/ص م م/ ص م.

a	u	i	aa	uu	ii	ق م	م م م	غ م م	م ط	H.v	M.v	L.v	ج	هـ
7	5	2	2	2	2	10	3	5	0	12	9	1	20	6

5 – قال تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾[2].

ر ـَ ب/ ب ـَ/ ن ـَ غ/ ف ـِ ر/ ل ـــِـــ/ و ـَ/ ل ـِ/ و ـــَـــ / ل ـِ/ د ـَ ي/

ص م ص/ ص م /ص م ص/ص م ص/ص م م/ ص م/ ص م/ص م م/ ص م ص/

ي ـَ/ و ـَ/ ل ـِ ل/ م ـُ ء / م ـِ/ ن ـــِـــ/ ن ـَ/ ي ـَ و/ م ـَ/ ي ـَ/

ص م / ص م / ص م ص/ص م ص/ ص م /ص م م/ ص م/ ص م ص/ ص م/ ص م/

ق ـُـــ/ م ـُ ل/ ح ـِ/ س ـــَـــ/ ب ـُ.

ص م م/ ص م ص/ ص م / ص م م/ ص م.

(1) سورة يوسف، الآية: 92.

(2) سورة إبراهيم، الآية: 41.

a	u	i	aa	uu	ii	ق م	م م م	غ م م	م ط	H.v	M.v	L.v	ج	هـ
11	3	6	2	5	5	12	4	8	0	22	10	1	35	3

6 – قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾[1].

و ـَ ل/ ل ـَ/ ذ ـِـ / ء ـَ ط/ م ـَ/ ع ـُ/ ء ـَ ن/ ي ـَ غ/ ف ـِ/

ص م ص/ ص م/ ص م م/ ص م ص/ ص م/ ص م/ ص م ص/ ص م ص/ ص م /

ر ـَ/ ل ـِـ/ خ ـَ/ ط ـِـ/ ء ـَ/ ت ـِـ/ ي ـَ و/ م ـَ د / د ـِـ/ ن ـِ.

ص م/ ص م م / ص م / ص م م/ ص م/ ص م م/ ص م ص/ ص م ص/ ص م م/ ص م.

a	u	i	aa	uu	ii	ق م	م م م	غ م م	م ط	H.v	M.v	L.v	ج	هـ
11	1	2	0	0	5	8	5	6	0	9	2	6	28	3

7 – قال تعالى: ﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾[2].

و ـَ غ/ ف ـِ ر/ ل ـِ/ ء ـَ/ ب ـِـ/ء ـِ ن / ن ـَ/ هـ ـُ/ ك ـَـ/ ن ـَ/

ص م ص/ ص م ص/ ص م/ ص م/ ص م م/ ص م ص/ ص م/ ص م / ص م م/ ص م /

م ـِ/ ن ـَ ض/ ض ـَـ/ ل ـِـ/ ن ـَ.

ص م / ص م ص/ ص م م/ ص م م/ ص م.

a	u	i	aa	uu	ii	ق م	م م م	غ م م	م ط	H.v	M.v	L.v	ج	هـ
6	1	4	2	1	2	7	4	4	0	11	7	3	23	3

(1) سورة الشعراء، الآية: 82.

(2) سورة الشعراء، الآية: 86.

8 – قال تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾[1].

رَـ ب/ ب ـِ/ ء ـِ ن/ ن ـِــ/ ظ ـَ/ ل ـَ م/ ت ـُ/ ن ـَ ف/ س ـِــ/

ص م ص/ ص م / ص م ص/ص م م/ ص م/ ص م ص/ ص م /ص م ص/ ص م م/

ف ـَ غ/ ف ـِ ر/ ل ـِــ.

ص م ص/ ص م ص / ص م م.

هـ	ج	L.v	M.v	H.v	م ط	غ م م	م م م	ق م	ii	uu	aa	i	u	a
5	17	3	7	10	0	6	3	3	3	0	0	3	1	5

9 – قال تعالى: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي﴾[2].

ر ـَ ب / ب ـِ غ / ف ـِ ر/ ل ـِــ.

ص م ص / ص م ص / ص م ص / ص م م.

هـ	ج	L.v	M.v	H.v	م ط	غ م م	م م م	ق م	ii	uu	aa	i	u	a
1	7	1	2	5	0	3	1	0	1	0	0	2	0	1

10 – قال تعالى: ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[3].

و ـَ غ/ ف ـِ ر/ ل ـَ/ ن ـَــ/ ر ـَ ب/ ب ـَ/ ن ـَــء ـِ ن / ن ـَ/

ص م ص/ ص م ص/ ص م/ص م م/ص م ص/ ص م /ص م م/ص م ص/ ص م /

ك ـَ/ء ـَ ن /ت ـَ ل/ ع ـَ/ز ـِــ/ ز ـُ ل/ح ـَ/ ك ـِــ/ م ـُ.

ص م /ص م ص/ص م ص/ ص م /ص م م/ص م ص/ ص م م/ ص م م/ ص م.

(1) سورة القصص، الآية: 16.
(2) سورة صٓ، الآية: 35.
(3) سورة الممتحنة، الآية: 5.

a	u	i	aa	uu	ii	ق م	م م م	غ م م	م ط	H.v	M.v	L.v	ج	هـ
10	2	2	2	1	2	7	4	7	0	12	9	4	26	5

11 - قال تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[1].

ر ـَ ب/ ب ـِ غ/ ف ـِ ر/ ل ـِـ/ وَ/ ل ـِ/ وَـَـ/ ل ـِ/ د ـَ ي/

ص م ص/ ص م ص/ ص م ص/ ص م م/ ص م/ ص م/ ص م م/ ص م ص/ ص م ص/

ي ـَ/ وَ/ ل ـِ/ م ـَ ن/ د ـَ/ خ ـَ/ ل ـَ/ ب ـَ ي/ ت ـِ/ ي ـَ/

ص م / ص م/ ص م/ ص م ص/ ص م/ ص م/ ص م/ ص م ص/ ص م/ ص م/

م ـُ ء/ م ـِ/ ن ـَ ن/ وَ/ ل ـِ ل / م ـُ ء / م ـِ/ ن ـِـ/ ن ـَ/ و ـَ ل/ م ـُ ء/ م ـِ/ ن ـَـ/ ت ـِ.

ص م ص/ ص م/ ص م ص/ ص م / ص م ص/ ص م ص/ ص م/ ص م م/ ص م/ ص م ص/ ص م ص/ ص م/ ص م.

a	u	i	aa	uu	ii	ق م	م م م	غ م م	م ط	H.v	M.v	L.v	ج	هـ
13	2	10	2	4	5	7	3	2	0	24	10	4	38	4

(1) سورة نوح، الآية: 28.

اسم السورة	رقم الآية	المصوتات القصيرة			المصوتات الطويلة			المقاطع				الذبذبات			المجهورات والمهموسات	
		a	u	i	aa	uu	ii	م ق	م م	م م غ	م ط	H v	m v	L v	ج	هـ
المائدة	118	10	3	3	0	0	2	8	2	8	0	10	11	5	22	8
الأعراف	155	9	1	2	3	2	2	5	4	7	0	13	8	4	24	6
هود	47	8	1	4	2	2	3	6	5	7	0	15	9	4	23	7
يوسف	92	7	5	2	2	2	2	10	3	5	0	12	9	1	20	6
إبراهيم	41	11	3	6	2	5	5	12	4	8	0	22	10	1	35	3
الشعراء	82	11	1	2	0	0	5	8	5	6	0	9	12	6	28	3
الشعراء	86	6	1	4	2	1	2	7	4	4	0	11	7	3	23	3
القصص	16	5	1	3	0	0	3	3	3	6	0	10	7	3	17	5
صّ	35	1	0	2	0	0	1	0	1	3	0	5	2	1	7	1
الممتحنة	5	10	2	2	2	1	2	7	4	7	0	12	9	4	26	5
نوح	28	13	2	10	2	4	5	7	3	12	0	24	10	4	38	4
المجموع		91	20	40	15	17	32	83	38	73	0	143	94	36	263	51

أولاً: الدلالة الاشتقاقية:

ما يعنينا هنا هو الاشتقاق الكبير الذي أبان (ابنُ جني) عن مكوناته وكشف عن أصوله وطبّقه على ألفاظ العربية بمهارة فائقة يقول عنه بروكلمان: (إنه مؤسس مبدأ الاشتقاق الأكبر الذي يبحث عما بين الصوت والمعنى من التناسب، وهو يتكلم في كثير من المسائل التي لا أصل لها في اللغة لرياضة العقل وشحذ الذهن على أمثال الفقهاء والفرضيين وأهل الحساب)[1].

وكتابه (الخصائص) خير شاهد على سعة علمه وطول باعه، فإن ما قدمه في هذا الكتاب يعد خدمة لأسرار اللغة، لذا قيل عنه (أنه يندر أن يوجد كتاب في

(1) تاريخ الأدب العربي: 2/ 245.

العربية يضاهي الخصائص من حيث عمق الأفكار وجدة الموضوعات التي تناولها وأهميتها، وحسبك أن تعلم أن (ابن جني) قد وضع فيه من بين أمور كثيرة علم أصول العربية وفكرة الاشتقاق الأكبر وتركيب اللغات والتضمين في حروف الجر إلى غير ذلك)[1].

فالاشتقاق الأكبر الذي ابتدعه ابن جني في الخصائص: من أعود بحوثه على العربية بالخير والنماء لو أن هناك من يفيد منه البحث، وقد قال فيه آدم متز: (أنه لا يزال يؤتي ثمره إلى اليوم، ولم يكن لعلماء اللغة من العرب إنتاج أعظم منه)[2].

وسنحاول الإفادة من هذا المبدأ في بحثنا عن اشتقاق كلمة (غفر) التي وردت دعاءً من الأنبياء لأنفسهم ولغيرهم في أحد عشر موطناً من آيات الذكر الحكيم.

وتقاليب (غفر) التي تتألف من الصوامت الثلاث هي:

1) غ ف ر. 2) غ ر ف. 3) ف ر غ. 4) ف غ ر. 5) ر غ ف. 6) ر ف غ.

إن الدعاء بصيغة (اغفر) فيه إلحاح في الطلب ومناجاة بالستر ورغبة في التجاوز، وفي أصل هذه الكلمة من هذه المعاني مالا يخفى، فإن التستر والإخفاء ظاهران في تقاليب (غفر) وهذا يحتاج إلى تدقيق النظر لأن (الكلمة كالمكعب فإذا ما أُريد النظر إلى وجه من وجوهه فإنه ليس ثمة بد من تدويره حتى يكون المرء وجاه المعنى المماثل في تلك الجهة والتي هي مختصة بمعنى مكتسٍ بلبوس مفترق عن الآخر في وجه آخر)[3]، وكما أشرنا فإن تدوير تقاليب (غفر) تظهر معنى الستر والخفاء. فإن (غ ف ر) معناها: ستر وأخفى وتجاوز

(1) الخصائص دراسة وتحليل: 147.
(2) في أصول النحو: 73.
(3) جدل اللفظ والمعنى: 232-233.

عن، فأصل (الغَفْرِ): التغطية والستر، ومنه: غفر الله ذنوبه: أي سترها، وقد غفره يغفره غفراً: ستره، وكل شيء سترته، فقد غفرته)[1].

و(غ ر ف): منه الغريف وهو الموضع الذي يكثر فيه الشجر الملتفّ فيستر ما فيه، فالغريف: (الجماعة من الشجر الملتف من أي شجر كان)[2]. ومنه(الغرفة) فإنها تستر من فيها وتخفيهم، فمعنى الستر موجود هنا أيضاً.

و(ف ر غ)، الفراغ: (الأودية، والخلاء)[3]: والفراغ مكان للتستر والتخفي، والخلاء كذلك فإن المرء يتخفى عن الأنظار في الخلاء، وهذا التقليب يحمل معنى الفراغ الذي يصلح للستر والخفاء وهو بهذا ليس ببعيد عن أصل المعنى المراد.

و(ف غ ر) ومنه (الفَغْر) وهي (أفواه الأودية، والفجوة في الجبل دون الكهف)[4] تسمى (مغفرة)، فأفواه الأودية أماكن لنصب الكمائن للعدو والتخفي هناك، كما أن الفجوة في الجبل مكان لتستر الصيادين والمقاتلين، فمعنى الإخفاء والستر موجود بهذا الشكل في هذا التقليب أيضاً.

و(ر غ ف): رغف البعير (لقَّمَهُ البزرَ والدقيقَ ونحوه)[5] واللقمة إنما توضع في الفم الذي يستر ما بداخله، ثم تبلع اللقمة فتختفي أكثر فأكثر، إذاً الرغف يحمل معنى الستر والإخفاء بهذا النوع من التأويل.

و(ر ف غ) الرفغ أصول الإبطين، ومجامع الأوساخ... وهي المغابن[6]. فباطن الإبط مما يستر تحته الشيء، ومنه (تأبط شراً)، أي أخفى تحت إبطه شراً، فالإخفاء والتغييب والستر معاني لا نعدمها في هذا التقليب أيضاً.

---

(1) لسان العرب: مادة (غفر).
(2) لسان العرب: مادة (غرف).
(3) لسان العرب: مادة (فرغ).
(4) القاموس المحيط: مادة (فغر).
(5) القاموس المحيط: مادة (رغف).
(6) أساس البلاغة: مادة (رفغ).

والرفغ أيضاً: أسفل الفلاة وأسفل الوادي، ومن المجاز: (نزلوا في أرفاغ الوادي) [1]، وهي كما أشرنا سالفاً أماكن للستر.

إذاً يمكننا القول في ضوء ما تقدم أنَّ الاشتقاق الأكبر قد آتى أكله في مادة (غفر)، فلم يكن فيها تقليب ضائع ليس له معنى، وجل المعاني يمكن جمعها في (الستر والخفاء)، فهذا المعنى هو الخيط الدقيق الذي يجمع معاني (غفر) وهذا من دقيق أسرار هذه المفردة التي لم تأت اعتباطاً في القرآن الكريم بمعنى (استر ذنوبي وأخْفِ عيوبي) فإن هذه الكلمة بكل تقاليبها تحمل هذا المعنى، وهذا أيضاً يظهر جانباً آخر من جوانب الإعجاز اللغوي والبلاغي في كلام الله تعالى الذي كيفما أدرته ظهر لك من إعجازه ما هو جديد وعجيب.

ثانياً: دلالة الصوامت:

إذا كانت اللغة (معايير يراعيها المتكلم ويلاحظها الباحث)[2]، فإن ملاحظة الفونيمات ودلالاتها وبحث ظواهرها يعد من أكثر فروع الدراسات اللغوية دقة لما يتطلبه هذا العمل مِن الإحاطة والمران.

وإذا كانت ألفاظ اللغة (هي اللّبنات التي يتكون منها البناء الكبير ومن ثم كان الاهتمام بحصرها وجمعها الشغل الشاغل لّلغويين في القديم والحديث)[3]، فإن الأصوات هي اللبنات التي تتكون منها الألفاظ، وإذا ما أُرِيدَ كشفُ قناع المعنى عن الألفاظ فإنه يجب البدءُ بالأصوات لنصل من خلال إيحاءاتها إلى ما ترمز إليه.

فالألفاظ بأصوات فونيماتها مجتمعة أو بصوت كل فونيم فيها على حدة تومئ بكثير من المعاني التي تعتور عليها اللفظة.

وهناك ألفاظ توحي بالقوة وعندما ترد في القرآن الكريم فإنها تكون (لبيان

(1) أساس البلاغة: مادة (رفغ).
(2) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: 32.
(3) دراسات في علم اللغة: 232.

قوة الباري جلّ شأنه.. بل إن نسبة كبيرة من مفردات ألفاظ القوة من أسماء الله الحسنى، ونلاحظ أن مادة ما قد اشتق منها أكثر من اسمين كـ(القادر والقدير والمقتدر) من (ق د ر)... كأن ألفاظ القوة تقول: إن القوة الحقيقية أولاً وأخيراً لله تعالى)[1]. وهذا نابع من الجرس القوي الذي تتمتع بها الفونيمات المشكلة لهذه المفردة.

إذاً فالألفاظ يمكن أن تقول أو توحي بكثير من المضامين إذا ما طالعنا أصواتها وجرسها، ونحن هنا بصدد بحث فونيمات الدعاء بصيغة (غفر)، ومادته (غ ف ر) وقد بيّنا اشتقاقات هذه اللفظة ومعانيها، ونعرج هنا على إيحاءاتها وما تحمله من دلالات وما يتواءم والسياق العام الذي وردت فيه هذه اللفظة دعاءً من الأنبياء عليهم السلام لأنفسهم ولغيرهم، فنقول: إن ابتداء هذه المفردة بفونيم الغين له أكثر من مغزى، فإن الغين (صامت مجهور حنكي قصي احتكاكي، وهو النظير المجهور للخاء)[2]، وابتداء مادة (غفر) التي تدل على الستر والخفاء بفونيم الغين لا يخلو من معانٍ، فالغين (للغؤور والغموض والغوص)[3]، والغين تأتي كثيراً في بدايات الألفاظ التي تكون لما غاب من الأشياء مثل (غطّى، غرب، غاب، غاص، غرق، غمد، غار، غمر، غمس،... إلخ)، وكأن الداعي يقول: (رب غيب ذنوبي واستر عيوبي) وهذا التغييب والستر موجودان في صوت فونيم الغين، وبما أن الغين قصية مخرجها من الطبق (ويمكن أن تنطق مع الخاء من اللهاة قريبين من موضع القاف)[4] فلعل ذلك يوحي بدعاء مفاده: «اجعل يا إلٰهي ذنوبي في أقاصي عفوك، وكما أن الغين لما غاب من الأشياء فغيب عيوبي في قعر سترك ومرحمتك»، ثم يلي الغين فونيم الفاء وهو (للتوسع والوهن)[5]،

(1) ألفاظ القوة في القرآن الكريم: 150.
(2) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: 177.
(3) خصائص الحروف العربية: 256.
(4) أصوات العربية بين التحول والثبات: 24، وينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: 305-306.
(5) خصائص الحروف العربية: 244.

ويقول عنه ابن جني: (لرقة صوته كثيراً ما يضفي معنى الضعف والوهن على الألفاظ التي يدخل في تراكيبها)[1]، وهو (صامت مهموس شفوي سنّي احتكاكي)[2]، وهو مهموس بين مجهورين فيعطي الكلمة وهناً يحكي حال الداعي، الذي يقول: «إني ضعيف قد وهن كاهلي تحت ثقل الخطايا والذنوب ولست بمعصوم لا يقارف المعاصي فارحم ضعفي واجبر وهني وتجاوز عن تقصيري وغفلتي»، هذا بعض ما يوحيه فونيم الفاء الذي أضفى على الكلمة شيئاً من الانكسار وذلك من خلال صوته الذي يرمز إلى هذه المعاني ضمن هذه المفردة.

ثم ختمت هذه اللفظة بفونيم الراء، الذي قال عنه سيبويه (وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام... ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه)[3]، فنلاحظ أن حروفاً معيّنة (تمتاز بصفة مفردة نتميزها من الحروف الأخر)[4] منها الراء التي توصف بأنها (لثوي مكرر متوسط بين الشدة والرخاوة مجهور مفخم ومرقق)[5]. فترقق في حالة الوقف في ثلاثة مواضع هي: (إذا وقعت بعد ياء ساكنة مثل خبير، وإذا وقعت بعد كسر مثل المدثِر، وإذا وقعت بعد ساكن ولم يكن حرف استعلاء وقبله كسر مثل السِحْر)[6] والراء في دعاء (اغفر) مرققة لأنها ساكنة وقعت بعد كسر، فتتناغم ورقة الدعاء، وهي تدل على (التحرك والترجيع والتكرار)[7]، هذا التكرار الذي يتأتى (نتيجة لطرقات سريعة من عضو مرن مثل طرف اللسان)[8]، يوحي بطلب تكرار العفو والستر: أي

(1) خصائص الحروف العربية: 132.
(2) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: 173.
(3) الكتاب: 4/ 575.
(4) المنهج الوصفي في كتاب سيبويه: 117.
(5) الأصوات اللغوية (عبد القادر عبد الجليل): 175.
(6) الفريد في فن التجويد: 84-85.
(7) خصائص الحروف العربية: 87.
(8) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: 171.

«كلما تكررت ذنوبي فكرر يا إلٰهي غفرانك، وليكن تكرار عفوك هنا في الدنيا بسترها وفي الآخرة بالتجاوز عنها ومحوها، فأنا العبد الضعيف قد تتكرر مني المعصية فليتجدد عفوك وسترك كلما بدر مني ذنب، أو مال بي الهوى». ثم إن «غفر» من معانيها الكثرة (الجم الغفير) أي فيهم كثرة[1]، وهذا قريب من المعنى الذي نريده أي أن «ذنوبي كثيرة تتكرر بتعاقب الأيام، فليكن غفرانك أكثر ليشمل كثرة ذنوبي وعيوبي»، وهذا كله من إيحاءات (غفر).

ثالثاً: دلالة المصوتات:

١ - المصوتات القصيرة:

يظهر في دعاء الأنبياء عليهم السلام بصيغة (غفر) ومشتقاتها أنه ينقسم على أنواع، نوعٌ يدعو فيه الأنبياء لأنفسهم فقط كدعاء سيدنا نوح عليه السلام: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[2] ودعاء موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾[3]، ودعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾[4]، ونوع آخر يدعو فيه الأنبياء لغيرهم فقط، مثل دعاء سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[5]، ودعاء يوسف عليه السلام لإخوته: ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[6]، ودعاء إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾[7]، ونوع يدعو فيه الأنبياء لأنفسهم ولغيرهم، كقول موسى عليه السلام: ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾[8]، ودعاء

(1) لسان العرب: مادة غفر: 5/ 47.
(2) سورة هود، الآية: 47.
(3) سورة القصص، الآية: 16.
(4) سورة الشعراء، الآية: 82.
(5) سورة المائدة، الآية: 118.
(6) سورة يوسف، الآية: 92.
(7) سورة الشعراء، الآية: 86.
(8) سورة الأعراف، الآية: 155.

إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾[1]. وقوله أيضاً: ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2]، وقول نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[3].

وتبين من خلال الدراسة الصوتية للأنواع الثلاثة أن نسبة المصوتات القصيرة كانت كالآتي: (91) واحدٌ وتسعون (a)، و(20) عشرون (u)، و(40) أربعون (i)، فكانت نسبة المصوت (a) أكثر من المصوتين (i) و(u)، وهذا مألوف في الدعاء عامة لأنه التجاء إلى الله تعالى وتضرع إليه وابتهال إلى حضرته ببسط الأكف وفتح الأفواه، وانشراح الصدر بأمل القبول ورجاء المغفرة، فهذا الحال يناسبه الفتح، (لأن الفتحة حركة لا يتدخل اللسان في إنتاجها، ومن ثم فإن اللسان يظل في قاع الفم مع فتح الفكين، وهذا يعني أن اللسان لا يلتقي بأي جزء من أجزاء سقف الحنك ولا بأي سن من الأسنان)[4]، ويصفها الباحثون بأنها (حركة خفيفة مستحبّة)[5]، وفتح الفكين وإخراج النفس طويلاً مع خفته يناسب حال الداعي الذي يُخرج زفرات الطلب من صميم فؤاده أو أقاصي مخرج أصواته، وكأنه لا بلسانه بل بكل كيانه يرجو الستر ويطلب الغفران.

والملاحظ على القسم الأول وهو دعاء الأنبياء لأنفسهم أن المصوت (u) ورد ثلاث مرات فقط، وهذا يرفع الثقل عن الدعاء فإنه يُسْرٌ لا صعوبةَ فيه، فما يستغفر منه الأنبياء أمور سهلة ليست كذنوب بقية العباد، فالأنبياء معصومون عن اقتراف الذنوب وما يستغفرون منه أمور هينة لا ثقل فيها ولا تمطيط في الرجاء بالعفو منها، ولكن في القسم الثاني وهو الدعاء لغيرهم نلاحظ ارتفاع نسبة الفونيم (u) فبلغ ثماني مرات، ويعزى ذلك لثقل ذنوب غيرهم (ذنب إخوة

(1) سورة إبراهيم، الآية: 41.
(2) سورة الممتحنة، الآية: 5.
(3) سورة نوح، الآية: 28.
(4) الكلام إنتاجه وتحليله: 91.
(5) مباحث في علم اللغة واللسانيات: 93.

يوسف وما اقترفوه من إلقاء يوسف في الجب والخيانة والكذب، وذنب أبي إبراهيم وهو الكفر، وذنب العصاة من أمة عيسى عليه السلام، وهو اتخاذهم عيسى عليه السلام وأُمَّه إلٰهَيْنِ من دون الله، فهذا الدعاء يتطلب ثقلاً أكبر وإلحاحاً أكثر في الدعاء وتكسراً أطول أمام الباري جل شأنه فارتفعت عدد الضمات والكسرات فكانت الضمات أحد عشر والكسرات كذلك[1]. وأعلى نسبة للضمات كانت في دعاء سيدنا يوسف لإخوته فبلغت (5) خمس مرات. وأعلى نسبة من الفتحات كانت في دعاء سيدنا نوح الذي دعا فيه لنفسه ولوالديه ولمن دخل بيته مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات، وهذا من بالغ كرمه وسخائه، إذ إن العادة أن يدعو الضيف لأهل البيت ولكن نوحاً عليه السلام هنا يدعو لضيوفه، وهذا اللطف والسخاء يدلان على انشراح صدره فناسبه فونيم الفتح في دعائه فكانت نسبته عالية كما رأينا.

هذا ما لاحظناه على دلالات المصوتات القصيرة في دعاء الأنبياء لأنفسهم وغيرهم، وقد أدت المصوتات وظيفة جلية في الوضوح والصفاء فهي الأصوات المتسمة بالانفتاح المتكامل لمجرى الهواء، فتنطلق دون أي دوي أو ضوضاء وتصل إلى الأسماع مؤثرة فيها تأثيراً تلقائياً في الوضوح والصفاء، وعلة ذلك (انبساطها مسترسلة دون تضيق في المخارج)[2].

٢ - المصوتات الطويلة:

اللافت للنظر في دعاء الأنبياء زيادة نسبة المصوت (ii) فقد بلغ (32) اثنين وثلاثين مرة مقابل (17) سبعة عشر (uu) و(15) خمسة عشر (aa)، والحقيقة أن المصوت (ii) بطوله ولينه ذو وشيجة بالارتداد نحو الذات وخشوع الطلب والترفق في الدعاء، فطلب الستر فيه إلحاح مع نغمة موسيقية فيها رجاءٌ يتناسب مع المصوت (ii)، ففي سورة القصص خلا دعاء سيدنا موسى عليه السلام من المصوتين (aa) و(uu) وتكررت (ii) ثلاث مرات، مما يدل على الانكفاء

(1) راجع الجدول: 135.

(2) الصوت اللغوي في القرآن الكريم: 182.

والتذلل قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾[1]، وهذا ما يلحظ أيضاً في دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام لأنه يدعو لنفسه مع والديه وللمؤمنين يوم يقوم الحساب، فهذا الدعاء فيه من التذلل ومحاولة التقرب من رحمة الباري الشيء الكثير، ونغمة المصوت (ii) توائم هذا اللون من الطلب فإنها (للانفعال المؤثر في البواطن)[2] فإن التأثر والانفعال جليان في هذا الدعاء الذي ظهرت فيه الياء بكثرة، ثم إن خواتم آيات الاستغفار المنتهية بياء المتكلم التي كثر ورودها في هذا النمط من الدعاء كما أشرنا لها دلالات أخرى، فإن مقام الالتجاء والخشية يستدعيان إبراز ياء المتكلم، (والخوف يستدعي أن يلصق الإنسان بمن يحميه ويلقي بنفسه عليه ويستدعي أن يلتجئ إلى من ينصره ويأخذ بيده بكل أحاسيسه ومشاعره التجاءً كاملاً)[3]، والاستغفار إنما يكون من الذنب الذي يخشى معه صاحبه على نفسه من انتقام الباري جلَّ شأنه فيلجأ إليه خائفاً نادماً طالباً العفوَ، والسماح فيناسب هذا المقام ذكر الياء بكثرة وهذا هو ما لمسناه في دعاء (غفر) في طلب الأنبياء عليهم السلام المغفرة لأنفسهم ولغيرهم. والملاحظ أيضاً أن الياء لم تستعمل أداةً للنداء في هذا الدعاء الذي يطلبه الأنبياء عليهم السلام من ربهم بل جاءت بصيغة (رب) (تعليماً أو بياناً دون ذكر أداة ما من أدوات النداء إشعاراً بقرب الرب جل جلاله ممن يدعوه، إذ هو أقرب إلى من يدعوه من حبل الوريد)[4]، فالياء تأتي في مواطن وتختفي في أُخَر (خضوعاً لعاملين من عوامل التخاطب هما المقام الاجتماعي للمتحدث والسامع من جهة ومدى القرب النفسي بينهما من ناحية أخرى)[5]، ولدلالات خفية تعبر عن إعجاز القرآن وسمو بلاغته ورقي تعبيره.

(1) سورة القصص، الآية: 16.
(2) خصائص الحروف العربية ومعانيها: 98.
(3) التعبير القرآني: 80.
(4) معارج التذكر ودقائق التدبر: 6/ 479.
(5) اللغة وعلم النفس: 228.

رابعاً: الدلالة المقطعية:

يمكن لدارس الأصوات أن يستشف كثيراً من الدلالات من خلال التقسيم المقطعي للكلام، (هذا التقسيم الذي يفعله دارس الألسنية يكون بأنْ ينبه على مقاطع السلسلة اللغوية التي ينطقها ابن لغة ما إن لم يكن عارفاً بتلك اللغة التي يسمعها)[1]، لأن تقسيم ذلك يعتمد على عدد ما يتضمن من دفعات هوائية تنتج بتأثير الحجاب في الرئتين، واعتراض أعضاء النطق المختلفة طريق الهواء، وليس إخراج الهواء عملية عضوية تستمر قوتها دون اختلاف (بل إن ضغط الهواء يتفاوت من جزء من أجزاء الحدث اللغوي إلى جزء آخر)[2]، ولكن هي عبارة عن دفعات هوائية كثيراً ما تتداخل فهي بحاجة إلى دربة ودراية لمعرفة الحد الفاصل بين هذه التضاغطات والتدافعات الهوائية.

فالمقطع الصوتي ذو ارتباط بالحالة النفسية للمتكلم وموضوع الكلام والسياق العام، لذا يجب مراعاة هذه الأمور عند التقسيم المقطعي لمعرفة دلالة المقاطع، فالمقطع (وحدة صوتية تبدأ بصامت يتبعه صائت وتنتهي قبل أول صامت يرد متبوعاً بصائت أو حيث ينقضي اللفظ قبل تمام القيد)[3]، و(دراسة التنويعات الصوتية تقتضي ربط الصوت بالدلالة)[4]، لأن أجزاء المقطع تكون دالة أحياناً، وقد نبه إلى هذا الفارابي الفيلسوف (ت339هـ) حين تكلم على المناسبة الطبيعية بين الدال والمدلول فيما يراه قوم قال: (وذلك أنهم يقولون إن كل لفظة دالة فينبغي أن تكون محاكية للمعنى المدلول عليه.. وربما لم تكن اللفظة بأسرها محاكية، ولكن بعض أجزائها مثل (زنبور وطنبور) فإن المقطع الأول من زنبور يحاكي زميمه إذا طار، وطنبور يحاكي الجزء الأول من هذه

(1) أبحاث في أصوات العربية: 63.
(2) أصوات اللغة: 141.
(3) التطور الصوتي في كتب التصحيح اللغوي وتفسيره في ضوء علم اللغة الحديث: 167.
(4) أبحاث في أصوات العربية: 64.

اللفظة صوت الآلة، وربما كان حرف واحد من حروفه محاكياً له أو لغرض من أغراضه)[1].

ولقد تابعنا المقاطع في دعاء الأنبياء بصيغة (اغفر) وظهر لنا:

1 – غلبة المقاطع المتوسطة، فقد بلغت (111) مائة وأحد عشر مقطعاً منها (38) ثمانية وثلاثون مقطعاً مفتوحاً و باقيات وعددها (73) ثلاث وسبعون مقطعاً مغلقاً.

والمقاطع المغلقة المتوسطة ربما ترمز من جملة ما ترمز إليه إلى الانكسار النفسي (فتكثر هذه المقاطع في الرثاء، والبكاء على الأطلال)[2]، وبما أن الدعاء فيه من الانكسار والتذلل والبكاء والمناجاة بطلب الصفح والستر فإنه يناسبه المقطع المتوسط المغلق، وقد رأينا أنها كانت هي الغالبة فوصلت إلى ثلاثٍ وسبعين مقطعاً.

والمقاطع لها ارتباط كبير بالحالة النفسية للمتكلم، فإن (عضلات الصدر تتقلص تقلصات متقطعة ينجم عنها ضغطٌ متقطعٌ يتساوق مع نطق المقاطع)[3]. وهذه التقلصات تابعة للحالة النفسية، فإن الخائف والحزين والخجول تختلف حالاتهم عن الآمن و سعيد وغير الآبه..

فإن دقات القلب تتسارع في أثناء الخوف وعملية التنفس تضطرب مما ينجم عنه تقلص أكبر لعضلات الصدر، مما ينجم عنه تباين المقاطع تبعاً لسرعة تقلص عضلات الصدر، (فإن المقطع الواحد يتوازى حدوثه مع نبضة صدرية واحدة)[4].

ولدى متابعة المقاطع في دعاء الأنبياء ظهر أنها تتنوع بتنوع أدعيتهم

(1) أبحاث في أصوات العربية: 64.
(2) من محاضرات الدكتور (نوزاد حسن) الملقاة على طلبة الماجستير عام (2004).
(3) اللغة وعلم النفس: 107.
(4) General Phonetics P:36.

وحاجاتهم، إذْ لوحظ الفرق المقطعي بين دعاء سيدنا عيسى عليه السلام في القيامة حين يدعو لأمته، ودعاء سيدنا نوح عليه السلام في الدنيا، ففي الدعاء الأول كانت المقاطع المغلقة هي الغالبة فبلغت (8) ثمانية مقاطع مغلقة مقابل مقطعين مفتوحين فقط وذلك لهول الموقف ومخاطبة الباري عز وجل مباشرةً في الحشر ومعرض الدفاع الأدبي مع الاعتذار الشديد للربّ جلَّ وعلا عن إثم الآثمين فناسب ذلك الموقف المقاطع المغلقة. أما دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام في الدنيا لوالده فقد تساوت فيه المقاطع المفتوحة مع المقاطع المغلقة فبلغت (4) أربعة مقاطع وذلك لسهولة الموقف وعدم الفزع الشديد الموجب لضيق الصدر وانقباض القلب، لأن الدعاء مطلوب هنا لشخص واحد فالطلب أسهل والموقف ألين فلا تشنّج ولا ضيق ولاخفقان تستدعي انغلاق المقاطع وغلبتها.

ومن الملاحظ أيضاً في دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام غلبة المقاطع المتوسطة على القصيرة، وظهر في مبحث دلالات المصوتات أن الياء كانت هي الغالبة وكانت دلالة على انكسار حاله وطول خشوعه وحلم طلبه، وغلبة المقاطع المتوسطة هنا تصب في نفس الوادي، فالمطلوب بهذه المقاطع تمطيط الدعاء ومد الصوت به وعدم انقطاعه، فطول الدعاء يناسب طول الرجاء، ولهذا كانت المقاطع المتوسطة غالبة على المقاطع القصيرة.

وفي دعاء سيدنا موسى عليه السلام لاحظنا ثلاثة مقاطع قصيرة فقط بينما ظهرت تسعة مقاطع متوسطة[1]، وهذا يتناسب مع حاله فدعاؤه فيه إلحاح وطول رجاء ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾[2]، ففيه إقرار بالذنب وطلب بستر العيب وهذا يكون بطول الرجاء ومد الصوت بالتضرع والدعاء.

خامساً: دلالة الذبذبات:

لقد وسم البحث بـ(دعاء القرآن - دراسة صوتية) ويكمن الهدف في الدراسة تحليل البنية المقطعية صوتياً، والتحليل: هو (تقسيم الشيء إلى أجزاء

(1) راجع الجدول: 135.

(2) سورة القصص، الآية: 16.

واكتشاف صفات كل جزء)[1] ولا تقتصر هذه الدراسة على تقطيع الكلام إلى فونيمات مقطعية فقط ذلك أن الفونيمات تتكون من صفات متعددة ولابد من بيانها.

ولأن (تحليل الشيء هو رجوع إلى عناصره الأولية لا مجرد تحطيمه إلى أجزاء)[2]، والعناصر الأولية للكلام هي الفونيمات التي تتنوع من حيث الصفات والمخارج والطبيعة الفيزياوية، وما يعنينا هنا هو الجانب الأكوستيكي لها والمشكّلة للدعاء بصيغة (غفر) في دعاء الأنبياء، فقد لاحظنا أن نسبة الفونيمات قد تنوعت في أدعيتهم فكانت نسبة الذبذبات هي الآتية: (143) مائة وثلاث وأربعون ذبذبة عالية و(94) أربع وتسعون ذبذبة متوسطة، و(36) ست وثلاثون ذبذبة واطئة، وبما أن الذبذبات العالية غالباً ما تـتعمل لما فيه تعظيم وتفخيم، وكان طلب المغفرة أمراً عظيماً وملحاً ناسبه ظهور هذه الفونيمات ذوات الذبذبات العالية بكثرة.

ثم إن (غفر) الثلاثية قد تنوعت فونيماتها من حيث القوة في الإسماع ودرجتها في الذبذبة، فقد ابتدأت بذبذبة واطئة هي (الغين) التي تقع في المرتبة (1)[3] من حيث قوة إسماعها، وتلاها فونيم (الفاء) وهو فونيم ذو ذبذبة متوسطة تبلغ قوة صوته (0,08ميكرو واط)[4] ويرتفع إلى المرتبة الثانية، وختمت اللفظة بفونيم (الراء) وهو فونيم ذو ذبذبة عالية فيرقى إلى المرتبة الرابعة من حيث قوة الإسماع، فقد بدأ الدعاء بذبذبة واطئة ضعيفة الإسماع ثم تدرجت إلى ذبذبة متوسطة ثم إلى ذبذبة عالية قوية الإسماع، وهذا يتطابق مع حال الداعي بهذا الأسلوب فإنه أولاً خائفٌ خجول لا يقدر على رفع الصوت بل يفتتح دعاءه بخشوع وخفوت ثم يتشجع شيئاً فشيئاً فيرفع صوته ويُظهر حاجته، فتعلو ذبذبات

(1) أصوات اللغة: 129.
(2) المصدر نفسه: 129.
(3) أصوات اللغة: 136.
(4) اللغة وعلم النفس: 96.

أصواته تبعاً لذلك، ومن المعروف أن الأصوات اللغوية تختلف فيما بينها في الشدة والحدة، وفي علم الفيزياء (الصوت ناتج عن ذبذبة لجسم ما في وسط ما كذبذبة وتر في وسط هوائي مثلاً. وأنه كلما زاد عدد الذبذبات في الثانية الواحدة ارتفع الصوت واحتد، والعكس بالعكس أيضاً، فالحدة التي نعنيها هي نسبة ارتفاع الصوت وانخفاضه)[1] ويحدث الصوت (باندفاع الهواء من الرئتين ومروره بالقصبتين وتحريكه الحبال الصوتية التي يحدث الصوت باهتزازها وتكسبه بحسب استمرار الاهتزاز وسعته وقوته، صفات الاستمرار والارتفاع والشدة)[2] و(العناصر التي تسهم في إخراج الأصوات هي إطلاق الهواء إلى الخارج والنطق في الفم والتذبذب في منطقة الحنجرة، والرنين الأنفي)[3].

وهذه الذبذبات واستخداماتها في السلسلة الكلامية لا تخلو من دلالة، فإن الفونيمات ذوات الذبذبة العالية وهي (ب، ل، ر، م، و، ن) تظهر غالباً في المناسبات الفخمة وما فيه إشعار بالعظمة كما أشرنا سابقاً، فلذا كان ظهورها جلياً في الدعاء هنا.

ومناسبة ذبذبة الفونيمات للمعاني، وزيادة نسبة منها هنا وقلة نسبة معينة منها هناك يُعدُّ باباً من إعجاز القرآن الصوتي واللغوي، أو ما يسمى بـ(نظام القرآن الصوتي)، فمن (ألقى سمعه إلى مجموعة القرآن الصوتية وهي مرسلة على وجه السذاجة في الهواء، مجردة من هيكل الحروف والكلمات متميزاً بعضها من بعض، بل يبلغه مجرد الأصوات الساذجة المؤلفة من المدات والغنات والحركات والسكنات، والاتصالات والسكتات... يشعر من نفسه... بأنه أمام لحن غريب وتوقيع عجيب يفوق في حسنه وجماله كل ما عرف من توقيع الموسيقا وترنم الشعر)[4]، كما أن ترتيب الحروف ورصف الكلمات في القرآن

(1) الوجيز في فقه اللغة: 251.
(2) فقه اللغة وخصائص العربية: 44.
(3) علم اللغة العام: 60.
(4) مناهل العرفان: 2/ 557.

معجزة أيضاً، فإذا (استمعت إلى حروف القرآن خارجة من مخارجها الصحيحة تشعر بلذة جديدة في رصف هذه الحروف بعضها بجانب بعض في الكلمات والآيات، هذا ينقر وذاك يصفر، وهذا يخفى وذاك يظهر، وهذا يهمس وذاك يجهر... ومن هنا يتجلى لك جمال لغة لقرآن...)[1]، هذا التأثير في المتلقي الذي لا يعرف العربية أيضاً يأتي من الحس الصوتي أو النظام الصوتي في القرآن الكريم، وهذا الصوت الذي يوحي بكثير من المعاني لأن الصوت (يبقى دالاً من جهة لأخرى، فالمماثلة الوزنية والمماثلة الإيقاعية تظلان دليلين طبيعيين على مماثلة معنوية)[2].

إن ارتفاع نسبة الفونيمات ذوات الذبذبة العالية، أو انخفاض نسبتها لا ينفكان من دلالة أو إيحاء، فقد لاحظنا ارتفاع نسبة هذه الذبذبات في دعاء سيدنا نوح عليه السلام فقد وصلت إلى (24) أربع وعشرين ذبذبة، مقابل عشر ذبذبات متوسطة وأربع ذبذبات هابطة، وفي دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام في سورة الشعراء الآية (81) زادت نسبة الذبذبات المتوسطة فوصلت إلى اثنتي عشرة ذبذبة مقابل تسع ذبذبات عالية وست ذبذبات هابطة، ونلاحظ أن دعاء نوح عليه السلام فيه الثقة والاطمئنان فهو يكثر من الذبذبات العالية ويرفع بها صوته، أما دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام فإنه تمنٍّ مشوب بالرجاء، فيه طمعٌ في رحمة الله فكان دعاءً هادئاً فيه مسحة من أمل يكسوه الخجل والانكفاء. ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾[3].

سادساً: دلالة الجهر والهمس:

تبين من الدراسة الصوتية لدعاء الأنبياء عليهم السلام بصيغة (غفر) أن نسبة الفونيمات المجهورة كانت أربعة أضعاف المهموسات، فقد كان مجموع

(1) مناهل العرفان: 2/ 557.
(2) بنية اللغة الشعرية: 89.
(3) سورة الشعراء، الآية: 82.

الحروف المجهورة (263) مائتين وثلاثة وستين حرفاً، وعدد المهموسات كان (51) واحداً وخمسين حرفاً فقط، (وأن الاستقراء قد برهن على أن نسبة شيوع الأصوات المهموسة في الكلام لا تكاد تزيد على الخمس أو عشرين في المائة منه في حين أن أربعة أخماس الكلام تتكون من أصوات مجهورة)[1] وهذه نسبة طبيعية وإلا (فقدت اللغة عنصرها الموسيقي ورنينها الخاص الذي نميز به الكلام من الصمت، والجهر من الهمس والإسرار)[2]. ولكن التباين في ظهور الجهر والهمس في بعض المواطن يثير التساؤل ويلفت النظر، فقد لاحظنا أن أعلى نسبة للمجهورات كانت في دعاء سيدنا نوح عليه السلام إذ وصلت إلى (38) ثمانية وثلاثين فونيماً، مقابل (4) أربعة مهموسة فقط، في حين أن أقل نسبة للمجهورات كانت في دعاء سيدنا موسى عليه السلام فقد كانت نسبتها (17) سبعة عشر مجهوراً فقط. وهذا يتطابق مع الملحظ الذي ركزنا عليه في المباحث السابقة وهو أن دعاء نوح عليه السلام كان للمؤمنين والمؤمنات وقبل ذلك لنفسه ولوالديه ولمن دخل بيته مؤمناً، فكان رفع الصوت بهذا المطلب سهلاً مقبولاً لاحرج ولا تشنج فيه فهو لا يطلب عسيراً ولا يتكلف وَكداً، لذا يرفع صوته بالدعاء ملحاً، أما دعاء سيدنا موسى فقد جاء اعتذاراً من ظلم نفسه وإقراراً بضعفه ورجاءً في عفو ربه فناسبه الخفوت والهمس والاستحياء من الله فقلل الجهر بالطلب، وهذا لُبُّ الأدب.

ومثله أيضاً دعاء سيدنا يوسف لإخوته فقد كانت المجهورات عشرين فونيماً مقابل ستة فونيمات مهموسة، ومعلوم أنّ (الهمس يتطلب جهداً أكبر ووقتاً أكثر من الجهر)[3]، وسيدنا يوسف عليه السلام يدعو هنا لإخوته وقد اقترفوا ما اقترفوه من الآثام، فكان الطلب شاقاً والسؤال ثقيلاً فزاد الجهر مقارنة بدعاء غيره من الأنبياء عندما يدعون لأنفسهم.

(1) الأصوات اللغوية (أنيس): 22.
(2) الأصوات اللغوية (أنيس): 22.
(3) منهج النقد الصوتي: 49.